

فنون المشرق الإسلامي

د منى عثمان الغباشي

الفرقة الرابعة قسم الآثار شعبة الآثار الإسلامية

الجزء الثاني من فن الزخرفة على الحجر والجص والرّخام

ضريح تاج محل: يعد من عجائب الدنيا السبع نظراً لجماله وفخامته، ويوجد في الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة أّجرا. شيده الإمبراطور شاه جهان خامس الأباطرة المغول في الهند تخليداً لذكرى زوجته المحبوبة (أرجمند بانو) الشهيرة بممتاز محل والذي يعني القصر المحبوب الخزرف، وهي ابنة أصف خان بن اعتماد الدولة الأصفهاني رئيس الوزراء في عهد الإمبراطور جهانجير وعمتها الإمبراطورة نور جهان زوجة الإمبراطور جهان جير، تزوجها شاه جهان في عهد أبيه الإمبراطور جهانجير قبل توليه الحكم. وأنجبت له أربعة عشر ولداً وبناتاً، وتوفيت في الثامنة والثلاثين من عمرها أثناء ولادتها لأبنها أخير في ١٧ ذي القعدة سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣١م في بورهان بور ودُفنت رُفاتُها إلى أّجرا في موضع الضريح الحالي في ٥ جمادى الثاني ١٠٤١هـ/١٦٣٢م.

ويذكر المؤرخ الهندي عبد الحي نقلاً عن معين الدين الأكبر أبادي أن بناء المقبرة قد استغرق اثنتين وعشرين سنة، ولكن النصوص المنقوشة داخل البناء وخارجه توضح أن البدء في البناء سنة ١٠٤١هـ/١٦٣٢م وانتهى سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م أي أن البناء قد استغرق حوالي ١٥ عشر سنة ، وأن هذه الأعوام السبعة بعض اللمسات الجمالية للضريح وملحقاته.

شارك في بنائه ما يزيد عن عشرين ألف بناء، جاؤوا من شتى بلاد الهند وبلاد فارس وأوروبا وتركيا، بالإضافة إلى إيران وسوريا وآسيا الوسطى.. وعهد الإمبراطور إلى مجموعة من المهندسين الماهرين الإشراف على عملية البناء، مثل أحمد لاهوري مصمم تاج محل، وإسماعيل أفندي مصمم القبة الرئيسة، وعيسى شيرازي، وعيسى محمد الأفندي، وأما رئيس الخطاطين فيه فكان أمانة خان.

مادة البناء: ني من الرخام الأبيض المرمر الذي يتغير لونه بانعكاس ضوء الشمس أو ضوء القمر على سطحه، ويتغير لونه بتغير فصول السنة وأوقات اليوم؛ حيث يظهر بعد الفجر بلون وردي، وفي وقت الظهيرة بلون أبيض ناصع، ثم يتحول إلى اللون الرمادي قبل الغروب.

واستخدم ٢٨ نوعاً من الأحجار الثمينة لترصيع الضريح، كما جُلبت الأحجار من دول وبلدان مختلفة. وبلغت لتكلفة البناء ٥٠ مليون روبية تقريباً في ذلك الوقت. عمارة الضريح : شُيد المبنى على مساحة ٤٢ فداناً، يتكون الضريح من عدة منشآت؛ الضريح وهو المذشأة الرئيسية وحديقة لها بوابة ضخمة ومبنيان للموسيقى العسكرية يسميان النقر خانه، ومسجد وقصر، وملحق بالمجموعة بيوت للعمال والمعماريين والفنانين وأربع مآذن. وتم إنشاؤه على نمط الفن الهندي الإسلامي.



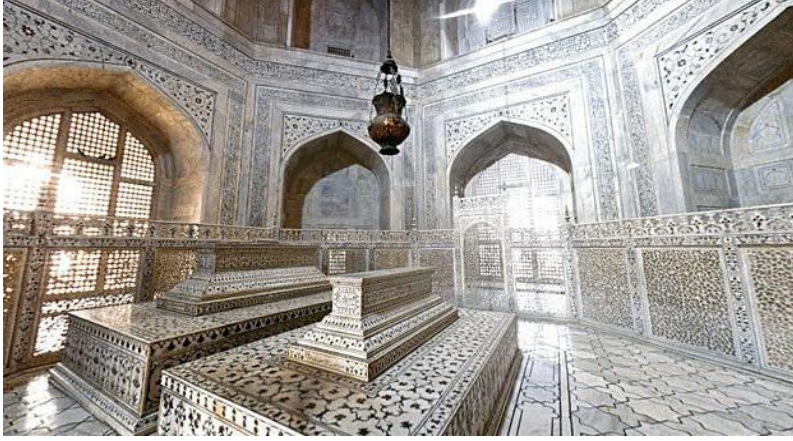
البوابة الرئيسية: وهي بوابة كبيرة ضخمة من الحجر الأحمر في موازاة واجهة الضريح ومُتشابه معها. ويتوسطها دخلة معقودة بعقد مدبب يحيط به شريط من الكتابات القرآنية المنقذة بالرخام الأسود والرخام الأبيض الملبس على الحجر الأحمر بالخط الثلث، فضلاً عن الزخارف النباتية والهندسية، وصف من القباب الصغيرة كحليات أعلى الواجهة من الداخل والخارج . يؤدي المدخل إلى حجرة مغطاة بقبة عليها زخارف رخامية قوامها نوع من الزخرفة تشبه شبكة الصيد.



الضريح: ينتصب على مصطبة أو منصة مربعة مُرتفعة من الرخام المرمرى الأبيض، وهي بارتفاع ١٢م وفي أركانها الأربعة أربع مآذن من الرخام

المرمرى الأبيض. أما الضريح فهو مبنى مربع الشكل، طول ضلعه حوالي ٧٠م، يشرف بأربع واجهات مرمرية بيضاء مُتماثلة زواياه الأربعة مشطوفة، وبها مداخل تؤدي إلى الحجرات الموجودة في زوايا الضريح وتُشرف كل من هذه الواجهات بثلاثة أقسام أكبرها أوسطها، ويشغلها

دخلة معقودة بعقد مدبب مُحاطة بأشرطة من الآيات القرآنية المنفذة بالرخام الأسود الملبس على الرخام المرمرى الأبيض، قوامها على هذه الواجهات سورة يس والتكوير والانشقاق والفجر، كما تشتمل هذه الواجهات على زخارف نباتية من الزهور خصوصاً القرنفل وأوراق نباتية منفذة بالرخام الملون والأحجار الكريمة على الرخام المرمرى الأبيض، كما زُخرفت الزوايا الأربعة بنفس الزخارف.



أما الضريح من الداخل فيتكون من حُجرة مركزية مُثمَّنة قُطرها ٢٢م وقُفح بكل من جوانبها فتحة مدخل، تؤدي أربعة منها إلى أربع حُجرات رُكنية صغيرة والأربعة الأخرى

تؤدي إلى أربع دركاوات أو مساحات مُستطيلة تلي المداخل الأربعة التي تتوسط الواجهات. وتُغطى الحجرة المركزية بقبة مُزدوجة؛ الداخلية قبة نصف دائرية بارتفاع ٣٠م والخارجية بصلية بارتفاع ٦٠م. وبالحجرة المركزية ممر هابط إلى حُجرة صغيرة أسفل الحجرة الوسطى طول ضلعها حوالي ٨م، يتوسطها تابوتا شاه جهان وممتاز محل.

وُغطى الجدران بكتابات قرآنية بالخط الثلث منفذة بالرخام الأسود على الرخام الأبيض قوامها سور الملك والفتح والإنسان والزمر، كما توجد كتابة تاريخية عربية تتضمن اسم الخطاط الذي نقش هذه السور وهو أمان خان الشيرازي وذلك بالعربية والفارسية. كما زُخرفت الجدران بالزخارف النباتية والهندسية التي فُذت بالرخام الملون والأحجار الكريمة ونصف الكريمة على الرخام المرمرى الأبيض.



القصر والمسجد: يوجد القصر بالجهة الشرقية من الضريح والمسجد بالجهة الغربية منه ويوجد المحراب في

جانبه الغربي وبُنِي كل منهما من الحجر الرملي الأحمر، وهو مُستطيل يتكون من رواقين، ويُغطى بسقف مُسطح يتوسطه ثلاث قباب بصلية الشكل، أكبرها أوسطها وأكثرها ارتفاعاً. وله مدخل كبير معقود، وعليه زخارف هندسية ونباتية بالرخام الأبيض الملبس على الحجر الرملي الأحمر.

- تابوت شاه جهان: فهو مستطيل، أبعاده ٢×٣،٦٠م، ويتكون من مصطبتين ومكعب، زُخرفت قاعدته بزخارف نباتية مطعمة بالعقيق والأحجار الكريمة، وبجوانب التابوت كتابات ملبسة على الرخام داخل دوائر لأسماء الله الحسنى، والنص التاريخي بسمه ١٠٧٦هـ .

- أما تابوت ممتاز محل: فهو على غرار تابوت شاه جهان لكنه أصغر قليلاً وتبلغ أبعاده ٢×٣م، ويرتكز على قاعدة رخامية ارتفاعها ٤٠م، زُخرف بالعقيق وبالرخام الملون بزخارف نباتية وأشكال هندسية وأسماء الله الحسنى، وكتابات تأريخية باللغة الفارسية بسنة ١٠٤٠هـ.

التركيبات الرخامية :

تميزت الأضرحة الإسلامية في الهند بوجود تركيبات فوق القبور، عادة ما تكون من الرخام وعلى شكل مصاطب تقل كلما اتجهنا إلى الأعلى، وغالباً ما تشتمل على آيات قرآنية وكتابات تاريخية. وتُنفذ هذه الزخارف بالحفر البارز كما في تركيبة السلطان أَلتمش بضريحه بدلهي، ثم نُفذت بالحفر وبالترصيع بالرخام الملون على الرخام الأبيض. وأحياناً تُرصع بالأحجار الكريمة والجواهر كما في تركيبة شاه وممتاز محل بضريح تاج محل. وقد يكون بجانب التركيبة شاهد حجري أو رخامي عليه كتابات تسجيلية، وعادة ما تشتمل الأضرحة الكبيرة على عدد كبير من التركيبات لأنها تكون أضرحة عائلات مثل ضريح همايون واعتماد الدولة أو تاج محل وحتى الأضرحة الصغيرة، ولكن قبل العصر المغولي مثل ضريح بارا جومباد الذي يشتمل على إحدى عشر تركيبة وضريح شيش جومباد وميزا عزيز كوكلتاس بدلهي.

وزُخرفت هذه الأضرحة بزخارفها الكتابية والنباتية والهندسية والمعمارية. تتمثل الزخارف الكتابية في الآيات القرآنية و الأحاديث والأدعية وأسماء الله الحسنى. أما الزخارف النباتية فتتمثل في رسوم الورود والأزهار والأوراق النباتية سواء المحفورة، أم المنفذة بالتلبيس على الرخام.

المحاريب :

تتميز المساجد المغولية الهندية بتعدد أنواع وأشكال المحاريب في المساجد الهندية، وتميزت المساجد الهندية بتعدد المحاريب حيث تشتمل بعض المساجد على عشرات المحاريب، فيجد محراب في نهاية كل مربع من مربعات القبلة، مع تميز كون المحراب الأوسط هو الرئيسي والأكبر اتساعاً وعمقاً. وتتسم هذه المحاريب بتنوعها من حيث التجويف فهي محاريب ذات تجاويف مُستطيلة، محاريب ذات تجاويف نصف المُسدس، ومحاريب ذات تجاويف خُمانية

المسقط. ومن أمثلتها محراب المسجد الجامع بيجابور الرخامي الذي يقع في ولاية كارناتاكا: وشُيد سنة ١٥٧٨م.



المنابر : تميزت منابر المساجد في دلهي بأنها جميعها مبنية، وليست منقولة مثل مساجد مصر والشام والعراق، فهي تبنى مع جدار القبلة سواء من الحجر أو من

الرخام، وعادة تتكون من ثلاث درجات أسوةً بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، ونادرًا ما تشتمل على نقوش، وتُعد النماذج المنقوشة قليلة مثل منبر المسجد الجامع في أجرا وهو من الرخام، وزُخرف بنقش نباتي، ونقش معماري لواجهة ظلة القبلة على الفناء على مسند الخطيب. ومن أمثلة هذه المنابر أيضًا منبر المسجد الجامع بيجابور الرخامي

عزيزي الطالب يجب عليك الآتي:

- ١- شرح النماذج بالتفصيل مع مقارنتها بغيرها في باقي العالم الإسلامي
- ٢- إلقاء الضوء على الطرز الفنية والمعمارية من خلال التحف
- ٣- إلقاء الضوء على تأثير المذهب الشيعي على الفنون الصفوية
- ٤- إلقاء الضوء على الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية من خلال هذه التحف

٥- البحث في كتابك ومواقع الانترنت عن مزيد من التحف